مع اندلاع القتال، وعلى وجه التحديد، عندما شُنّت الغارات الجوية على بيروت في الرابع من حزيران، كنت في ذلك الوقت في اجتماع للجنة المساعي الحميدة في جدّة، وذلك لحل الخلاف وايقاف الحرب الايرانية ــ العراقية. غادرت جدة على الفور. ومع خيوط الفجر الأولى، لليوم التالي، وصلت بيروت. مـــررت بالمدينة الرياضية. ضخامة ضربة المدينة الرياضية أعطتني الخطوط الاولية لحجم الهجوم القادم. لأن ضرب المـدينة الرياضية بهذا الحجم وهذه الوحشية لا يكون لمجرد ضربة انتقامية أو وقائية. بدأ الصهيونيون في حينه يتحدثون عن «سلام الجليل»: ضحكتُ، لانني أعرف أن الموضوع اكبر من ذلك بكثير. وإذا كان بعض العرب قد صدق أن الاسرائيليين سيقفون عند حدود الخمسة وأربعين كيلومترا، فنحن لم نصدق ذلك. بعض اخواني، حتى العسكريين منهم، كان يُدهش لغرف العمليات العسكرية التي كنت اقوم ببنائها وتجهيزها في اماكن بعيدة كل البعد عن الاماكن التي قد تستهدف عند بدء اي هجوم. بعضهم قال لي وانا أشيد هذه الغرف العسكرية تحت الأرض، مثل العمليات رقم ٥، ورقم ٦١ و٣٥، لماذا كل هذا الاسراف؟... كنت أقول ان المعركة قادمة لا محالة.

الصمت العربي الرسمي

بدأت المعارك، وللأسف، كان هنالك صمت عربي؛ كان واضحاً من الاعلام العربي أن هنالك مشاركة عربية في الحرب ضدنا، من خلال الصمت الاعلامي العربي الرسمي. للأسف، لم يكن هنالك اعلام عربي، غير رسمي، الاّ في مربع صبرا وشاتيلا: اخوتنا في الحركة الوطنية اللبنانية ونحن. طبعاً هنالك الكثير من أسرار هذه الحرب لم يُعلن حتى الآن، وانا وعدت باعلان هذه الأسرار شيئاً فشيئاً. وها أنا أُعلن: يقول الذين رأوا الرئيس سركيس على شاشة التلفزيون اللبناني، يوم وصول القوات الاسرائيلية الى أطراف بيروت، أن سركيس لم يبتسم في حياته قط تلك الابتسامة التي كانت على وجهه اثر وصول الاسرائيليين الى أطراف بيروت وحصارها.

السرعة التي احتلت بها القوات الاسرائيلية جبل لبنان وسرعة سقوط الجبل، تكاد تكون المفاجأة الوحيدة بالنسبة لي في هذه الحرب. دهشت حقاً، لانني اعرف وعورة الجبل وحجم القوات المتواجدة فيه؛ وبهذه المناسبة، أود التنويه بـــأن هذه القوات لم تكن فلسطينية، ولكنني كنت أتوقع لهذه القوات أن تصمد وتقاتل لمدة خمسة عشر يوماً على الأقل فاذا بها لا تصمد لخمس عشرة ساعة.

المشاركة الأميركية في الحرب

لا بد من الاشارة هنا الى الدور الأميركي المفضوح في هذه الحرب؛ فالمساعدات العسكرية الأميركية لاسرائيل لعبت الدور البارز في تقنية الهجوم الاسرائيلي؛ اذ كيف يتسنى للقوات الاسرائيلية أن تُنزل في وقت واحد وفي اكثر من موقع استراتيجي هذا العدد الضخم من الانزالات دون المساعدة الأميركية المباشرة. وعلى سبيل المثال، حصل انزال بحري للوائين مدرعين على السعديات، عند المشرف، وانزال آخر بحجم لواء على جسر الأولي في نفس الوقت الذي كانت تدور فيه المعارك على جسر القاسمية، علماً بأن